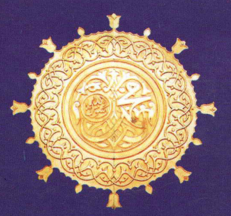
النبي صلى الله عليه وآله

قمّة للإنسانية

تقريرا لابحاث آية الله الشيخ محمد السند



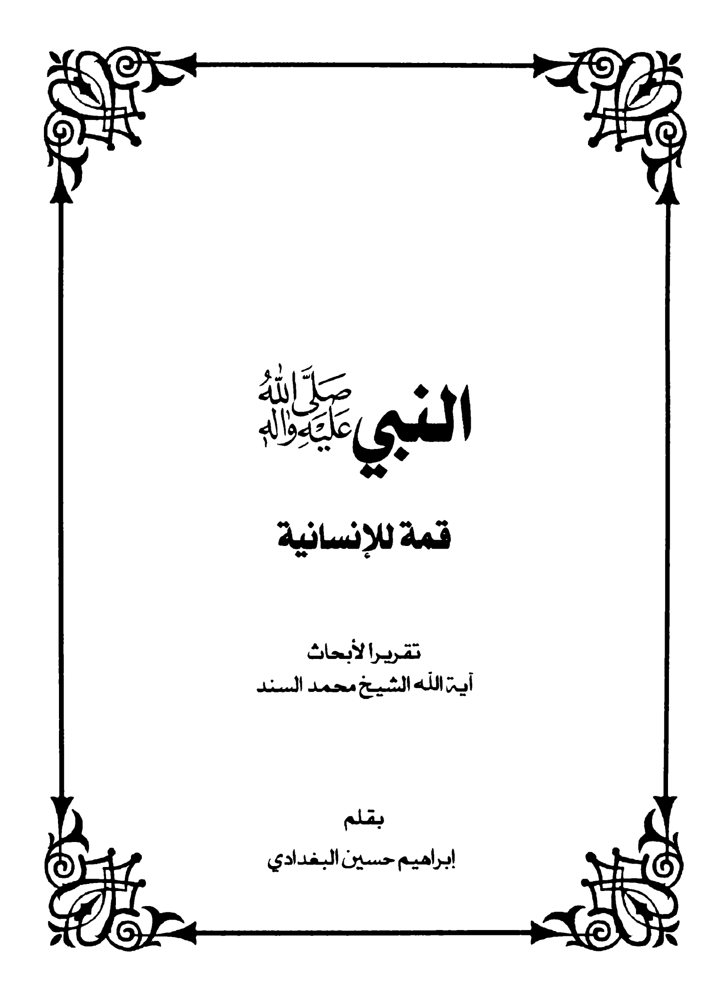
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا

بقلم

إبراهيم حسين البغدادي



النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قمة للإنسانية



النبي صلى الله عليه وآله

قمة للإنسانية

تقريرا لأبحاث

آية الله الشيخ محمد السند

بقلم

إبراهيم حسين البغدادي

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: .... النبي صلى الله عليه وآله قمة للإنسانية

.... تقرير أبحاث آية الله الشيخ محمد السند

بقلم: .... إبراهيم حسين البغدادي

الطبعة: .... الأولى لسنة ٢٠١٣ ميلادية

المطبعة: .... النور

عدد الصفحات: .... ٦٠ صفحة

الإخراج الفني والإشراف: .... السيد عبدالله الهاشمي


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم من الأوَّلين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

وبعد...

فإنَّ هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة أبحاث ألقاها سماحة الأُستاذ آية الله الشيخ محمد السند **«دام ظله»** في جوار المرقد الطاهر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[1]، وَقَدْ أُلقيت عَلى مَجْمُوعَة مِنْ فُضَلاء الحَوْزَة العِلْمِيَّة فِي النَّجَفِ الأَشْرَفِ، حَيْث بيَّنَ فِيها الأسباب والدواعي البغيضة التي جعلت الغرب يُسيء لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وكذلك بيَّن نُقاط الضعف التي بسببها تجعل الغرب بين الحين والآخر تخرج أضغانهم وإحَنهم البغيضة اتّجاه نبي الله وكتاب الله ودين الله (الإسلام)، وهم يعلمون جيداً وباعتراف من أكابرهم أنَّ النبي الخاتم صلى الله عليه وآله هو أعظم شخصية في الكون، استطاع أنْ يُؤسس حضارة عالمية بقيت إلى الآن، وبنى أوتادها على روح الأُخوّة والمحبّة والعدالة، وكيف استطاع أنْ

---

(١) مسجد عمران بن شاهين، داخل الصحن الشريف، وهو مكان درسه الآن.

يدير الدولة سياسياً واقتصادياً ودينياً من غير أنْ يُسيء لأي طرف كان حتّى وإنْ كانت هذه الأطراف ذات نزعات عدوانية شريرة.

كل هذا عزيزي القارئ سوف تجده بين طيّات هذا البحث، سائلين المولى تعالى أنْ يحفظ لنا شيخنا الأُستاذ وأنْ لا يحرمنا من بحوثه القيِّمة، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين.

ذكرى وفاة القاسم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام

٢٢/جماد الأول/١٤٣٤هـ

النجف الأشرف

إبراهيم حسين البغدادي

لغة الفطرة

إنَّ الفطرة ليست دليلاً فقط لمسألة واحدة بل أصبحت لغة من لغات المعارف ونظاماً من نُظم أبواب المعرفة الجذابة والرائجة جداً، فبالفطرة يرتب ويقرب البرهان لأثبات التوحيد، وبالفطرة يقرب البرهان لأثبات النبوة والإمامة والمعاد.

فإنَّ الفطرة لغة من لغات إثبات المعارف حتى أصبحت لغة كاملة ونظام متكامل، ومن أوضح وهي أبين وأكثر اللغات شيوعاً وأنتشاراً وفهماً عند كافة البشر بل عند كافة المخلوقات، وعلى ضوء هذا يستطيع الإنسان أن يفسر حالات وظواهر عجيبة بين المخلوقات بعضهم مع البعض مع اختلاف أجناسهم وأنواعهم ولا يخفى أن القرآن الكريم قد شيد هذا الباب وهذا البحث في آيات عديدة، فقد ذكر القرآن الكريم الفطرة بعناوين كثيرة ومختلفة وليس بلفظ وبعنوان الفطرة فقط بل بألفاظ أخرى مقاربة لغوياً للفطرة من قبيل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾[1].

ونظير قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً

(١) سورة الشعراء : الآية ١٨٤.

وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾[1].

إذن لابد أن نلتفت إلى هذا النظام وهذا الباب وهذه اللغة، فإن أحد أسباب وأسرار وسر نجاح الأنبياء عليهم السلام لاسيما سيد الانبياء صلى الله عليه وآله في التأثير على البشر أنهم عليهم السلام يركزون ويهتمون على لغة الفطرة من بين بقية اللغات بخلاف المصلحين الآخرين في البشر، مع الفارق الشاسع بين الذين أصطفوا من الله تعالى وبين بقية المصلحين المعروفين بالإصلاح في التاريخ البشري والحضارات البشرية والمدنية والمؤاخذة عليهم، أنهم غالباً ما يستخدمون لغة غير لغة الفطرة.

لغة الفطرة ليست صوتية:

إن للإنسان نوافذ عديدة وهو ذو قوى عديدة وكل قوة من قوى الإنسان والروح والنفس الإنسانية بل حتى الملائكة والجن والحيوان والنبات لها قوى مختلفة، فكل قوة من قوى الإنسان لها لغة، فعندما نقول لغة فليس المراد بها لغة صوتية بل اللغة المعنوية أو التكوينية التفاعلية والتي هي أهم من اللغة الصوتية فهناك لغة صوتية ولغة معنوية، فالمعنى وانطباعه كخاطرة في الروح لغة هو وسيلة تفاهم، فإذا أتيت لشخص ما بمعاني خاصة قد يفهمها ذلك الشخص بينما إذا أتيت له بمعاني أخرى قد تكون غامضة عليه فإنه

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

لا يفهم ما تريد.

إذن المعاني لغة من اللغات وكل قوة من قوى الإنسان لها أحاسيس وتفاعل معنوي خاص بها.

ومن باب المثال لتوضيح هذا البحث: هناك مقوله تذكر كثيراً أن كل إنسان له نقطة ضعف فإذا أردت أصلاح هذه النقطة وتحولها من الضعف إلى القوة فلابدَّ أنْ تؤثر عليه من تلك النقطة هذه تسمى لغة وهذا هو بحث التأثير وبحث التفاهم.

فإذا كان الشخص مهندساً لابدَّ أنْ تتكلم معه بلغة الهندسة، ولذلك بعث كل نبي بلغة قومه، وليس المراد بذلك اللغة اللسانية والصوت فقط بل المعنى الذي يفهموه وهذا تفسير أخر للغة، فنفس عالم المعنى والمعاني والعلوم كمعاني وكأفكار هي لغات، فالحيوانات ـ مثلاً ـ لها لغة خاصة ليست هي لغة الصوت بل لغة التأثير بالمعنى والميول الروحية المختلفة ومن ثم نجد الأولياء، فضلاً عن الاصفياء يستطيعون أن يؤثروا على الوحوش من خلال زوايا ونوافذ وشفرة معينة يتأثير بها ذلك الحيوان.

أزدهار اللغات وطمسها:

ونلاحظ في كل زمن من الأزمان وفي كل جيل من الأجيال قد تزدهر لغة من اللغات، لغة معنوية، أو لغة صوتية، أو لغة حقائق، وقد تخمد في ذلك الزمن وتجمد وتتعطل لغات أخرى،

فمثلاً أبواب اليقين المذكورة في المدارس المنطقية قد تنشط لغة وتخمد أخرى، ففي زمن النبي موسى عليه السلام كانت لغة قوة المخيلة والخيال والسحر قوية ونشيطة جداً ولذلك نرى معجزاته عليه السلام من قبيل فلق البحر وقلب العصى وقلب المطر دماً كلها مرتبطة بالتغيرات المدركة بتوسط العين وليس من الخيال لأن في الخيال يتم تغيير الصورة في العين تخيلاً وليس تغير الخارج حقيقية.

أو مثلا معجزة النبي صالح عليه السلام حيث كان قومه ينحتون من الجبال بيوتاً وهذا من مهارة الجبال والمعادن فأخرج لهم الله تعالى من فنهم ناقة ومن الطبيعي يخاطبهم من نمط لغتهم بها لايقدرون عليه ـ أي أخراج الناقة ـ وهلم جرا في معجزات باقي الأنبياء عليهم السلام.

وهناك لغة مشتركة موحدة لدى جميع الأنبياء والأوصياء ألا وهي لغة الفطرة، فإنها أسرع اللغات فهماً وليس ذلك في الإنسان فقط بل في الملائكة وفي الجن وفي الحيوان وفي النبات هناك لغة أيضا أسمها لغة الفطرة، وليس المراد منها لغة صوتية بل لغة تكوينية تفاعلية ومعنوية، يعني يمكن بهذه اللغة تفسير وترجمة بيان والتفاهم حول كل شيء.

فطرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

إنَّ الأنبياء والأوصياء برعوا في التأثير على البشر وغير البشر وذلك لأستخدامهم لغة الفطرة، بينما الفلاسفة أو العرفاء أو الصوفية

لم يؤثروا على أكثر البشر لأن تأثيرهم ناقص عبر اللغة التي خاطبوا بها هذا مضافاً إلى الفارق قدرة دور بين المعصوم وغير المعصوم إذ هناك فرق كبير وواضح بين الوحي والجهد البشري، وذلك لأن الأنبياء يستخدمون لغة أكثر فهماً عند كل الناس بل عند كل المخلوقات وهو نظام الفطرة، ولا يخفى أن الفطرة درجات ففطرة النبات تختلف عن فطرة الحيوان وعن فطرة الملائكة وعن فطرة الإنسان لأن الخلقة درجات فكذلك الفطرة أيضاً. ولكن أعظم نظام فطرة هو عند أعظم مخلوق وهو سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، يعني الفطرة التي خلق الله بها سيد الأنبياء لم يخلق بها النبي عيسى ابن مريم عليها السلام ولا النبي موسى عليه السلام ولا النبي إبراهيم الخليل عليه السلام ولا جميع الأنبياء، فإن هذه الفطرة التي كاملها الله تعالى في سيد الأنبياء لم يجعل له نظير أو مثل سوى قرب علي بن أبي طالب عليه السلام من سيد الأنبياء عليه السلام.

ولذلك لم يشبه القرآن الكريم أحدا بمنزلة سيد الأنبياء إلا علي عليه السلام كما هو مفاد آية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[1].

ومن ثم قال أحد البابوات السابقون للكنيسة الكاثوليكية عندما

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

أرسل اليه أحد المحققين الصحيفة السجادية قال نحن ندعي ونعتقد أن عيسى ابن مريم عليه السلام رئيس العرفان ولكني أقر أن العرفان الموجود في الصحيفة السجادية عند الإمام زين العابدين عليه السلام أعظم من الموجود عند النبي عيسى ابن مريم عليه السلام ـ وهذه الرسالة موثقة دولياً ـ والإمام زين العابدين عليه السلام نبعة يسيرة من سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فكيف بسيد الأنبياء نفسه صلى الله عليه وآله.

الأزمة الاقتصادية ومعجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[١]. فالفطرة هي في نفسها دين، يعني هناك تطابق وتناغم بين كل منظومة الدين وكل فطرة البشر، بل فطرة المخلوقات كلها، لأنه في بداية الآية يذكر القرآن الفطرة التي فطر الناس عليها ثم بعد ذلك يتوسع فيقول (لاتبديل لخلق الله) وهذا نوع من التناغم الذي بين دين الإسلام ودين النبي محمد صلى الله عليه وآله مع كل فطرة المخلوقات، وهذا التناغم ليس بالأثبات النظري أو بالأدلة النظرية كما في القرون السابقة بل هذا التناغم بات يشاهده البشر بالبرهان التجريبي من خلال الأزمات التي يمر بها البشر ومنها الأزمة الاقتصادية المالية التي عصفت الآن بالغرب كلها حتى

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

أخذ رواد الفكر الاقتصادي في الغرب يصرحون خلال السنوات التسع الماضية بمعجزة تشريعات الإسلام التي أتى بها سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله من تحريم الربا وتحريم التمويه في المعاملات: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[١]. فالباطل هنا يعني تمويه المعاملات أو تمويهية غسيل أموال، وكذلك تحريم أعيان أو محرمات كالمخدرات وغيرها من المكاسب المحرمة وكذلك تحريم الأحتكار وغير ذلك.

إن الغدد الاقتصادية المحرمة التي وضع عليها التشريع الإسلامي يده هي التي تقض بمضجع الاقتصاد النموذجي لدول العالم الأول في القوة المالية والاقتصادية حتى تكاد تكسر عروش إقتصادهم وتفتته تفتيتاً.

وهناك إحصائيات كثيرة ومذهلة طالعتنا بها منظمة الأمم المتحدة أن هناك ستين فرداً وشخصاً وليس ستين الفاً أو مليوناً يملكون ٧٠٪ من ثروة أمريكا التي هي أثرى وأغنى دولة في العالم وهذا أحد أسباب الأزمة الأقتصادية.

الاعجاز التشريعي للنبيصلى الله عليه وآله والحقد الغربي:

فها هي تشريعات سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله تتجلى وتتلألأ للعقل البشري جدارتها الآن بالبرهان التجريبي أي برهان الفطرة للنظام

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٨.

الاجتماعي، وفطرة نظام البيئة الخضراء، وفطرة النظام البيئي المائي، وفطرة النظام البيئي الهوائي، فطرة لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، فالدين الإسلامي جعل لنا آداباً مع البيئة وجعل لنا آداباً مع الحيوانات وآداباً مع الهواء حتى مع الطعام: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[1]، بينما شعار الرأسمالية أسرفوا أسرفوا نظام وسياسة الصرف الاستهلاكي الافراطي. وهذا أحد أسباب الأزمة الخانقة لهم وهو الإسراف والبذخ والبطر، وعندما ينالون من شخصية النبي صلى الله عليه وآله فليس عبطاً أو صدفة بل لأن إعجازه التشريعي الديني الذي بعث به صلى الله عليه وآله أخذ يتقدم في حواضر مراكز الدراسات العالمية، فلو أراد الإنسان أن يجمع من خلال وكالات الأنباء تصريحات عقول الاقتصاد الغربي الأوربي والأمريكي سواء في البنك، في المصرف، في النقد المالي، في التجارة، في الجمرك، في كل فصول الاقتصاد أنه لا منجى للغرب من هذه الأزمة المالية إلا تشريعات سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، وقد صرح بذلك جملة من أمهر وأنبغ ساسة بناة النقد ونوابغ المصرف ومنظري الاقتصاد وكذا رئيس قساوسة بريطانيا قبل عدة سنوات، وهذا انتشار خطير لرواج التشريع النبوي لمحمد صلى الله عليه وآله بالنسبة لهم لأنه بالتالي إنتشار لشخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ودينه الذي بعث به بحيث وصل إلى عقر عقول

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

المفكرة والمدبرة لأقتصادهم، وبالتالي لم يبق لديهم إلا السباب والشتائم والاستهزاء والكذب والدجل وهو مؤشر الإفلاس في المواجهة العلمية لجدوائية بنيان التشريع النبوي.

الغرب والتقنين السري

أحدالاساتذة الاكاديميين والخبير في القانون الجنائي الدولي يسأل عن التشريع الإسلامي في باب الجنايات والعقوبات يعني الحدود والقصاص كيف يتلائم من التقنينات العصرية في العالم؟!.

وكان الجواب له هل تريد أن تقارن بين تقنين سيد الأنبياءﷺ وبين التقنينات والقوانين الرسمية في الدول أو القوانين السرية في الدول؟ وقد تفاجئ بهذا التقسيم وكأنه استيقظ من سبات علمي في البحث المزبور.

فإنَّ هناك قوانين غير معلنة بلْ سرية ومعمول بها في إداراتهم ووزاراتهم ولكن بشكل خفي وغير معلن عنها،وهناك الكثير من الدول الغربية إذا لوحق بعض ممثليها، أو سفرائها، أو ضباطها، أو جنودها بقضية ما فأنه يصنع لهم محاكمة ولكن طبق القوانين المقررة وغير المعلنة ولا يسمحون بالأعلان عن تلك القوانين المعمول بها داخل أجهزة النظام وليس داخل الدول فقط بل مع شعوبهم أيضاً وإن كان في السطح الظاهر المجريات للقانون الرسمي. وأي عضو يعمل في الدولة إذا أجرم أي جرم لابد أن يحاكموه طبق تلك القوانين الخفية لديهم فيبرؤونه إذا كان طبق ضوابط تلك القوانين

وإن مجرماً جنائياً فادحاً طبق القوانين الرسمية المعلنة وهذه قوانين دموية، أوباشية، وحشية الله، أعلم بمدى عنجهيتها، فالتعذيب الذي في سجن غوانتناموا أو غيره الم يكن مقنن طبق تلك القوانين غير المصرح بها رسمياً لديهم؟!.

مثلاً المخابرات المركزية (CIA) لديها قوانين خاصة ولكن من الذي أطلع على تلك القوانين، ولايمكن لأي أحد أن يطلع عليها لأنها قوانين سرية، فالقوانين المدنية المعلنة لديهم لها شكل والقوانين المقررة والمصوبة والخفية غير المصرح بها لها شكل آخر.

فإذا أردت أن تقارن أيها الحداثوي وأيها الباحث في الألسنيات والمفضل بين تقنين سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وبين غيره فسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ليس لديه تقنين معلن وتقنين خفي بل تقنين واحد.

فالدولة التي يديرها سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله أو يديرها سيد الأوصياء عليه السلام أو يديرها سيد شباب أهل الجنة ليس فيها قوانين معلنة وقوانين سرية مخفية. بل قوانين واحدة سواء كانت قوانين عقوبات أو جنايات أو حرب أو سلم أو غير ذلك من القوانين المدنية والتجارية.

قوانين الرق في التشريع النبوي والرق الغربي

إن الرق في التشريع النبوي هو لأجل تربية الأمم لا اضطهادها أو إذلالها بل إيجاد نوع من البيئة المربية ولذلك يحرر الرق بأدنى ذريعة ووسيلة ويجعل له حقوقاً تحول دون اضطهاده. بينما لو نظر إلى قوانين الرق (الخفية) في أوربا الغربية وأمريكا فنراه رق مدلهم ودموي بحيث يعبث بعرض الفتاة وعرض الفتى، وليس الغرب فقط بل وكذا أوربا الشرقية وروسيا، ويمنعون رسمياً عن الرق ولكنهم في الخفاء بتوسط الشبكات السرية لديهم أرقام كبيرة ومذهلة في مجال الرق، فأي فطرة ينادون بها فهناك أرقام كشفت عنها منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية المدنية في الغرب، بل تم الكشف عن ملفات مدمية ومبكية ومقرفة للإنسان إذا اطلع عليها بل إنهم يقيمون حروب في العالم الثالث وتهجير شعوبها وأحد أهدافهم منها أسترقاق مايمكنهم من الفتيات والفتيان تحت جناح الشبكات السرية وعصابات بيع الرق تماماً نظير الحروب في القرون الوسطى وإغارة القبائل لأجل السبي والغنائم المادية كسرقة العقول والكفاءات والكوادر من تلك البلدان فضلاً عن ثرواتها الطبيعية.

ونراهم يرفعون شعارات وقوانين رسمية ويبطنون ممارسات وأعراف خفية أخرى، ومن يقع في أحضانهم فله الويل منهم. وقد انكشفت بين الحين والآخر بعض هذه القوانين الخفية حتى لا يستطيعون أخفاء هذه الفضائح الكريهة،ومن دجلهم نراهم يلصقون هذه الفضائح بدين الإسلام. حتى تطاولوا على سيد الأنبياء ﷺ وفي الواقع أنهم يريدون أن يتطاولوا على تكامل البشرية، ويريدون أن يشيطنوا الإنسانية حتى يقلبوها من انسانية إلى شيطنة إبليسية.

لأن عداء نهج الأنظمة الغربية هو مع النبل ومكارم الأخلاق الإنسانية وقمته عند سيد الأنبياء ﷺ فغايتهم وهدفهم من التطاول على شخصية سيد الأنبياء هو نشر اليأس والإياس لدى البشرية عن وصول شخص إلى قمة النبل والمكارم لئلا يكون قدوة للبشر ولئلا ينفتح طريق وسبيل التكامل في محاسن الأخلاق كثقافة وأعراف لدى عموم البشرية فإن ذلك يورط الطبقة الحاكمة الثرية والمتحكمة في مقدرات شعوبها والشعوب الاخرى ويحرجها إذ النبل والمبادئ والقيم والمكارم تفتح باب المحاسبة والمداينة على موازين العدل والقسط وهذا مما يحرج طبقات الثروة والمال والقدرة ويمنعها عن اللعب والعبث في مقدرات الشعوب والإفساد في الأرض.

فهدفهم من الطعن زرع فكرة ونظرية أنه ليس هناك شخصاً نموذجياً، لأن الذي يغيضهم في سيد الأنبياء قممية سيد الأنبياء ﷺ

وفطرته الكاملة والصاعدة على جميع الأنبياء عليهم السلام فإنه صلى الله عليه وسلم خاض السلم وخاض الحرب وخاض المجتمع وخاض السياسة وخاض الروحانية بكل توازن ونبل وهذا ما يصعب عليهم.

إنك لعلى خلق عظيم:

وصف القرآن الكريم النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم ولم يصف باقي الأنبياء عليهم السلام بهذا الوصف، وهذا يعني أن عظمة الأخلاق لم يقر القرآن الكريم بها لأحد من المخلوقات بما فيها الأنبياء والرسل إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

نعم وصف القرآن الكريم باقي الأنبياء بصفات عديدة مثل:

النبي نوح عليه السلام وصف بالعبد الشكور كقواه تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[2].

النبي إبراهيم عليه السلام وصف بالحلم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[3].

النبي عيسى عليه السلام وصف بقوله الحق كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٤.

ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾[(١)].

النبي يحيى عليه السلام وصف بالسيد الحصور كقوله تعالى: ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[(٢)].

النبي موسى عليه السلام وصف بالاخلاص كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾[(٣)].

وغير ذلك من الصفات المذكورة للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، أما وصف جميع الصفات والكمالات، الخلقية،النفسية، الروحية والتي أجتمعت في شخص واحد لم يصف القرآن فيها أحداً إلا أثنين وهما النبي محمد صلى الله عليه وآله وخليفته الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾. حيث نزله القرآن الكريم منزلة النبي صلى الله عليه وآله.

ومنطق القرآن يشير إلى إفضال علي بن أبي طالب عليه السلام على بقية الأنبياء بما فيهم أولي العزم عدا النبي صلى الله عليه وآله وهذا ليس تمحلاً أو تكلفاً من القول بل نصوصية من القرآن الكريم.

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

(٣) سورة مريم: الآية ٥١.

فعن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحابه قيس الماصر: إن الله عَزَّ وَجَلَّ أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم فوض إليه الدين والأمة ليسوس عباده. فقال عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وإن رسول الله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطي في شيء مما يسوس به الخلق فتأدب بآداب الله...[(١)].

ولما جعله الله بهذه الصفة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أرسله ليتمم مكارم الأخلاق كما قال صلى الله عليه وآله: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(٢)]. وهذا دال على أن بقية الأنبياء لم يقيموا تمام مكارم الأخلاق.

نعم إذا نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال نظارة مكسورة أو من خلال كتب صفراء إسلامية أخرى يرويها زيد وبكر الراوي فهذا بحث أخر.

وأما إذا نظرت إلى النبي صلى الله عليه وآله من خلال مرآة شفافة صافية وهي نفس القرآن الكريم أو من خلال مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي يشهد بها القرآن فسوف ترى الصورة الجميلة عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وأنها أكمل صورة إنسانية إبتدعها الله في خلقه.

---

(١) الكافي للكليني ج١ : ٢٦٦ .

(٢) بحار الانوار للمجلسي ج١٦ : ٢١٠ .

تعدد الزواج وإدارة الدولة

إن الإنسان إذا أنشغل بزوجة أو زوجتين نراه من الصعب أن يتصدى لأتقان وإحكام إدارة تدبير المجتمع فضلاً عن إقامة حضارة، ولا سيما إذا كانت الزوجة أو المرأة مشاكسة غير موافقة أو عصية بل معادية، كما يستعرض لنا القرآن الكريم أن بعض نساء النبي ﷺ عصيات مما يبين لنا مدى عظمة سيد الأنبياء ﷺ، رغم أن عدة من نسائه متمردات ومتعاديات فيما بينهن لكن سيد الأنبياء ﷺ قمة لا تزلزله الزلازل.

فكيف إذا كان لديه تسع نساء أو زوجات؟! وكن معه في عقر داره وليس ببعيدات عنه، فإن القائد المثالي الذي يكون قائداً مثالياً في عقر داره أولاً هو من ثم يكون قائداً مثالياً في الخارج.

لاحظ رؤساء العالم في زماننا هذا إذا تكلم من خلال مؤتمر صحفي ولمدة خمس دقائق نراهم يتظاهرون بالمثالية والمعالي والقممية، بينما لو تركنا عدسة التصوير تركز عليهم في محافلهم الخاصة الأخرى فسوف نرى حقيقتهم من الجيفة النتنة والكنيف الملوث، أما شخص كشخص الرسول الاكرم ﷺ فمن حكمة الله أن يسلط عليه تسع عدسات تصوير - تسع نساء - ومن قبائل وعشائر مختلفة لأنهن عيونهم على السلوك الخفي عن الأنظار لرسول الله ﷺ.

فعن زرارة عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة فقلت أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: كان خلقه القرآن[١].

وعن صفية بنت حي قالت: ما رأيت أحداً أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ[٢]. وهذا إعتراف من بعض النساء التسعة وهو عدسة رقابية من عقر داره.

ولو نظرنا إلى شخصية الإنسان من ناحية الجنس وأشباع الغريزة نرى أن نقطة الضعف فيه هو المرأة وكذلك العكس، ولكن في شخصية النبي ﷺ أراد الله أن يبين أن نقطة الضعف هذه هي نقطة قوة وقممية عند رسول الله ﷺ فإن كل شيء في منظومة حركاته، أفعاله، غرائزه، قواه مبرمجة ومنظمة، فإنه ﷺ في شهوته عدل، وفي كل غرائزه وقواه وفي عقر داره عدل، وليس فقط عدله بل إحسانه في كل شؤونه وعقر داره إحسان، فهذه معجزة مجسمة وسبب ذلك هو كمال الفطرة فيه.

النبي إبراهيم يشتكي إلى الله من زوجته:

روى عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام: إن إبراهيم شكا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ما يلقى من سوء خلق سارة، فأوحى الله تعالى إليه إنما مثل

---

(١) مسند أحمد لأبن حنبل ج٦: ١٦٣؛ كنز العمال للمتقي الهندي ج٧: ٢٣٢.
(٢) فتح الباري لأبن حجر ج ٦: ٤١٩.

المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمته كسرته وإن تركته أستمتعت به أصبر عليها[١].

فالنبي إبراهيم عليه السلام لم يصبر على أخلاق زوجته سارة مع أن سارة كانت بنت أنبياء فهي بنت خالة إبراهيم عليه السلام وأخت النبي لوط عليه السلام وفي نفس الوقت أم الأنبياء وقد كانت محدثة بصريح القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾ ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ ﴿ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[٢].

نعم كما أن الأصفياء درجات فالصديقات أيضاً درجات، فإن هناك مقدس وصفي ووفي ولكن هناك أقدس منه وأصفى وأوفى وأصدق. فسارة مع أنها صديقة ولكن النبي إبراهيم عليه السلام أشتكى منها بينما سيد الأنبياء تحمل وصبر ولم يشكو الله من العديد من نسائه ومع كونهن عدوات عصيات بشهادة القرآن وهو الفارق

---

(١) الكافي للكليني ج٥ :٥١٣.

(٢) سورة هود: الآية ٦٩ _ ٧٣.

بين سارة الصديقة وعدة من أزواجهﷺ.

وذلك من شذة نوريتهﷺ ومن ثم خاطبه تعالى ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ولكي يتنزل ويباشر التفاعل مع البشر شده أو أبتلاه الله بتسع نساء وإلا فهوﷺ جذاب لعالم الملكوت.

العبادة العظيمة مع نساء تسع: ..

وقد كان رسول اللهﷺ مع ماله من مهام من بناء حضارة الدين الحنيف ولإدارة الدولة الإسلامية وله تسع زوجات كانت له عبادة خاصة لا أحد يستطيع القيام بها إلا هوﷺ، فقد كانﷺ ـ كما في بعض الروايات ـ يصلي على أطراف أصابع رجلية عشر سنين كما ورد في الاحتجاج.

فعن أبي بصير، عن أبي جعفرعليه السلام ـ في حديث ـ قال: كان رسول اللهﷺ يقوم علي أطراف أصابع رجليه فأنزل الله سبحانه: ﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[١].

وفي رواية أخرى أنه كان يقوم على أصابع رجليه حتى تورمت قدماه[٢].

بلْ هناك روايات أُخرى أنه كان يصلي وهو قائم على أحدى

---

(١) الوسائل للحر العاملي ج٥ : ٤٩٠.

(٢) المصدر السابق.

رجليه.

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما عظم أو بعد ما ثقل كان يصلي وهو قائم ورفع إحدى رجليه حتى أنزل تعالى: ﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[١].

فمن ذا يستطيع أن يقوم بهذه الرياضة الروحية مع القيام بكل المسؤوليات الأخرى، فترى أن نموذجية هذه الشخصية النبوية لا يمكن أن يدانيها أحد من المخلوقين ومَنْ مِنَ الأنبياء طاف حول البيت ثلاث مائة وستين طوافاً في غضون أيام، ولكن محمد وعلي «صلوات الله عليهما» قاما بذلك.

والمؤسف رؤية تحامل الغرب بالإساءة العدائية ومحاربة هذا الجبل الشامخ منذ أكثر من الف وأربعمائة سنة وفي الواقع هم يسيؤون ويحاربون ويظلمون أنفسهم قبل أن يظلموا سيد الأنبياء، كما يقول الإمام الباقر عليه السلام يتركون النهر العظيم ويمصون الثمد فيسأله السائل يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هو النهر العظيم ؟. فيقول الباقر: علم رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) المصدر السابق: ٤٩١.

العاقب والرجعة

سمي رسول الله ﷺ بعدة أسماء ومنها أسم «العاقب» فعن النبي ﷺ أنه قال: «**لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»[1].

وفي حديث آخر: بعثت أنا والساعة كهاتين وأنا العاقب[2].

وفي الخصال عن جابر بن عبدالله قال رسول الله ﷺ: «... **وسماني في القيامة حاشر يحشر الناس على قدمي، وسماني الموقف أوقف الناس بين يدي الله جل جلاله، وسماني العاقب أنا عقب عقب النبيين ليس بعدي رسول، وجعلني رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قضيت النبيين جماعة**»[3].

فالعاقب في اللغة هو آخر كل شيء أو خاتمه[4].

ومن خلال بعض القرائن التي لا يسمح المجال لذكرها أن

---

(١) الموطأ لمالك، ج٢ : ١٠٠٤.

(٢) تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي : ٧٣٧ .

(٣) الخصال للصدوق : ٤٢٥ .

(٤) معجم الفاظ الفقه الجعفري لفتح الله :٢٨٢ .

العاقب هو آخر من يرجع في الرجعة من المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، فإن آخر دولة وأعظم دولة ـ ولعلها عالم القيامة ـ هي دولة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، يعني يؤتي الله نبيه ملكاً لا يقدر بملك الدنيا كلها، وهذا الاسم والنعت ثابت روائياً وحديثياً حتى عند المذاهب الإسلامية الأخرى من دون أن يشعرون.

والوجه في ذلك واضح فإن العالم الدنيويّ أكمل كمال فيه هو أن يدار بحاكمية وقيادة وإدارة وتدبير من هو أعظم مخلوق وهو سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾[1].

و (رادك) هنا لخصوصية خاصة له صلى الله عليه وآله، فيأتي صلى الله عليه وآله ويقيم دولته العظمى، فإن البشرية تتطلع إلى أعظم دولة يديرها ويدبرها أعظم شخص خلقه الباري تعالى، وهذه الحكومة هي حكومة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وتمهد لها حكومة سيد الأوصياء صلى الله عليه وآله في الرجعة «**أربعاً وأربعين الف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي عليه السلام الف ولد من صلبه...**»[2].

حكومة محمد وآل محمد:

فهذه التطلعات أو المعتقدات يفرضها نفس البيان العقلي لأن النبي وأوصيائه أكفأ البشر، فحكومة سيد الأنبياء ترقى على حكومة

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٥ .

(٢) مختصر بصائر الدرجات : ٢٧.

سيد الأوصياء، وحكومة سيد الأوصياء ترقى على حكومة الحسنين عليهما السلام، وحكومة الحسنين عليهما السلام ترقى على حكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وحكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه ترقى على بقية حكومات التسعة من الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

ومن الواضح أن المستقبل هو لحكومة الأئمة عليهم السلام وليس لأحد من بقية الأنبياء الأربعة من أولي العزم العظام أو غيرهم من الأنبياء ـ عدا سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ـ ليس لهم رئاسة حكومة في المستقبل إلا في ظل حكومة محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) ومن ثم جعل الله تعالى ولاية ثروات الأرض وهو الفيء في سورة الحشر للرسول ولذي القربى حكماً آبداً لا لبقية الأنبياء.

حكومتان للمهدي عجل الله فرجه الشريف:

ولكن الإمام المهدي عجل الله فرجه له حكومة في حياته عند ظهوره وله حكومة في رجعته، فإن الإمام الثاني عشر أيضاً له رجعة، وهكذا الائمة عليهم السلام لهم رجعات فتارة يكون رئيس الحكومة خليفة الله في الارض نفس الإمام المعصوم كالجواد أو الهادي أو العسكري عليهم السلام ولكن لكل من الائمة له رجعة أخرى غير رجعة رئاسته وقيادته في ظل عصره ـ عصر الرجعة ـ أي في عهد من يفوقه من المعصومين فيكون وزيراً له، ففي جملة من حكومات أمير المؤمنين عليه السلام هناك جملة من الأئمة يكونون وزراء له، وفي أعظم حكومة وهي لسيد

الأنبياء يكون نائب الرئيس أمير المؤمنين وبقية الأئمة الأحد عشر عليهم السلام وزراء لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله. أما جميع بقية الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا وسليمان وداود... فلا تكتب لهم أي رئاسة حكومة أو خلافة في الأرض وإنما تكتب لهم نصره وعون لسيد الأنبياء وآله «صلوات الله عليهم»، وهذا ما ينص عليه القرآن الكريم في آيات عديدة. كقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١].

فإن الآهل الكفوء لأدارة كل ثروات الأرض منذ نزول القرآن والى يوم القيامة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وقرباه ولذلك نلاحظ اللام في الآية الشريفة كررت ثلاث مرات لأنها لام الاختصاص وليس مفادها ملك الاعيان القابل للزوال بل إختصاص ملك تدبير وولاية وتصرف ثابت، وهذا بخلاف الملك الشخصي، فمثلاً لو أقتضى الصالح العام إزالة بيت في وسط طريق شارع فهنا يرفع الملك الشخصي ويعوض له بمال وهذا حكم الملك الشخصي فهو ملك ضعيف أمام المصلحة العامة.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

أو مثلاً مال لزيد وحدثت سنة مجاعة والناس في حالة جوع فهنا غصباً أو جبراً على زيد يعطى ماله للآخرين ويعوض، كما أن مال زيد إذا مات يذهب إلى ورثته من الأحياء. أما ملك الولاية والتدبير والتصرف فهو ملك أعظم فلا يزول ولايزال فهو أقوى ملك، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾[1]. فملك الله لا يزول، ومن بعده عَزَّ وَجَلَّ أستخلف الله نبيه وآل نبيه من دون إنعزال أو إنحسار.

ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

في الوقت الراهن ولينا بعد الله عَزَّ وَجَلَّ هو رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تنقطع ولايته إلى الآن، وإن كان هذا البحث لم يذكره جملةٌ من المتكلمين إن لم يكن جلهم، فولايته كانت ولا زالت: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[2].

فما هو الفرق بين الهدى والدين ؟! ولماذا جاء بالهدى أولاً ثم دين الحق ؟!.

وجواب هذا السؤال أشار إليه القرآن الكريم ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٥ .

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣ .

وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[(١)].

فقد أرسل رسوله بالهدى أولاً ثم نبوته كمصطلح نبوي وإلا فإن إمامته معجونة ومسبوكة بولايته وإمامته، فولايته صلى الله عليه وآله مقررة ثابتة ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾.

وقد مر أن اللام مسندة إلى الله والرسول وذي القربى ولكنها غير مسندة إلى غيرهم كاليتامى والمساكين وابن السبيل من الطبقات المحرومة، بل هم مورد مصرف للتوزيع العادل، فمن الذي ينشر العدل في التوزيع على هذه الطبقات المحرومة هل هو النبي عيسى عليه السلام أو النبي إبراهيم عليه السلام أو غيرهما من الأنبياء ؟! كلا إنهم لم يصطفوا بالدرجة التي أهل لها سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، أو أهل لها سيد الأوصياء صلى الله عليه وآله، ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ومن أقرب قربى الرسول الله صلى الله عليه وآله.

ولاية فاطمة:

نعم فاطمة عليها السلام عبق الإله عَزَّ وَجَلَّ حيث أوكل لها عليها السلام ملفات عديدة في مصحفها وأحد هذه الملفات هو ملوك الأرض إلى يوم القيامة وهنا نتسائل ماهو شأن فاطمة عليها السلام بالحكومات والدول؟!

---

(١) سورة الرعد: الآية ٧.

ولماذا الباري تعالى يعطيها كل هذا الكشف التفصيلي؟.

لأنهاعليها السلام المشرف الاصطفائي العام لصلاحية من يملك في بقاع الأرض والجغرافية الأرضية قرناً بعد قرن وسنة بعد سنة هي فاطمة الزهراءعليها السلام وليست مريم ولا خديجة ولاسارة ولا آسيا بنت مزاحم، لأنها المؤهلة الوحيدة لذلك.

فالقرآن الكريم حينما يعين ذوي القربى لأقامة العدل لمستقبل البشر ذوي قربى النبيصلى الله عليه وآله ليس هذا التنصيب من باب القبلية ولا العشائرية ولا العرقية ولا القومية بل «**كي لا يكون دولة بين الاغنياء**».

يقول تعالى في وصف أصحاب الكساء: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا**﴾[1] فهذه سورة كاملة نزلت في حق إيثار [علي وفاطمة والحسن والحسين] «صلوات الله عليهم».

فهل يوجد هناك إيثاراً كإيثارهم صلوات الله عليهم، بل لايوجد هذا الإيثار عند أحد إلا عند سيد الأنبياء وسيد الأوصياء.

وليس هذا الإيثار خاصاً بدار الدنيا بل مستمراً في البرزخ فلهم إيثار يذهل أولي الألباب،لأنهم يعيشون آلام الآخرين وهم في البرزخ ولذلك لايصفى لهم رغيد البرزخ والآخرة فكيف لا

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٨ـ٩.

يصلحون قادة لإقامة العدل إذا كان إيثارهم بهذا المستوى وقد ورى الفريقان أن رسول الله ﷺ يتأذى باستمرار من مشاهدته للمعاصي الصادرة من أمته ويفرح لطاعاتهم.

مصيبة فقد النبي صلى الله عليه وآله والظواهر الكونية

عن عمرو بن سعيد بن هلال، عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قال: وإذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله، فإن الخلق لم يصابوا بمثله قط[1].

وفي رواية أخرى: فإنه من أعظم المصائب[2].

وفي أخرى أيضاً: فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط[3].

فإن مصيبة فقدان النبي صلى الله عليه وآله من أعظم المصائب لأنه أعظم الكائنات وأعظم البركات التي قدرها الله أن تنبع وتتفجر من بين يدي هذا الكائن العظيم وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد وصفت السيدة الزهراء عليها السلام حالة الناس بعد فقد النبي صلى الله عليه وآله حيث قالت:

فلما أختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع

(١) الوسائل ج ٣ : ٢٦٧ .
(٢) الوسائل ج ٣ : ٢٦٧ .
(٣) المصدر السابق : ٢٦٨.

الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم..[١].

وقد ذكرت السيد الزهراء عليها السلام أحوال الكون عند أستشهاد النبي صلى الله عليه وآله حيث تقول:

أظلمت الأرض لغيبته وكسفت الشمس والقمر، وأنتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الأمال، وخشعت الجبال،...[٢].

كل هذه الظواهر السماوية والارضية حدثت نتيجة فقدان الكون لسيد الرسل صلى الله عليه وآله.

(١) الاحتجاج: ١ : ١٣٢ ؛ بحار الانوار ج ٢٩ : ٢١٦ .
(٢) المصدر السابق .

طاعة رسول الله ﷺ لا تنقطع

ومن البين في عقيدتنا أن رحيل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى لايعني تخلف رسول الله ﷺ عن إدارة الكون أو الأرض وشؤون البشر لأنه كما هو مقتضى عموم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ غير محدودة بزمن بل أبدية، سرمدية، فكذلك الحال في طاعة الرسول ﷺ غير مقيدة بحدود حياة الرسول ﷺ وهو في الدنيا الأولى بل طاعته ﷺ مستمرة إلى يوم القيامة، وهذه الطاعة ليست مخصوصة في الأحكام النظرية والتشريعات بل حتى في كل تدابيراته للأحداث.

وفي حكومة النبي ﷺ، أو حكومة أمير المؤمنين عليه السلام الحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ وصلاحيات الحاكم الأول لاتقتصر على السلطة التشريعية بل تمتد إلى السلطة القضائية والى السلطة السياسية التنفيذية وما شابه ذلك. وهذه العمومية في حاكمية الله هي الفرق بين عقيدتنا وعقيدة المدارس الإسلامية الأخرى وأن ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ وحاكميته ليست حاكمية على صعيد التشريع فقط بل هو الحاكم السياسي الأول، وليس هذا معتقداً نظرياً بل نعتقد به كمعتقد فعلي، والدليل على أن الحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ

هو نزول آيات قرآنية في تدبير حكومة النبي صلى الله عليه وآله أن في الحدث الخاص يجب أن يصالح مثلاً، وفي الموطن المعين يجب أن يفرض ضريبة اقتصادية معينة، وفي موطن آخر يجب أن يشن حرباً على الظالمين، وهذه الآيات النازلة لا تأخذ جانب مفاد التشريع فقط بل تأخذ بعد وجانب تنفيذ واجراء حاكمية الله عَزَّ وَجَلَّ في المواطن والمنعطفات الخطيرة لتدبير حكومة الرسول صلى الله عليه وآله في الوزارات المختلفة من حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه هي عقيدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في حياة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله في الدنيا الأولى. بل وحياته صلى الله عليه وآله في البرزخ إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة.

ممثل الدولة الإلهية في عصرنا الحاضر

ونعتقد أن الذي يمثل الدولة الإلهية كان رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ثم الحسن والحسين عليهما السلام والى الإمام المهدي عجل الله فرجه إذن هناك دولة إلهية قائمة الآن هي التي تمثل البرامج الإلهية، ولو قارنا بين هذه الدولة الإلهية والبيئة البشرية لوجدنا أن الدولة البشرية دولة كارتونية تسقط بين ليلة وضحاها بعصيان مدني.

إذن في الدولة الإلهية وحكومة الرسول صلى الله عليه وآله الحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ والحاكم الثاني هو الرسول صلى الله عليه وآله وهناك صلاحيات خاصة لأمير المؤمنين عليه السلام في عهد حكومة الرسول صلى الله عليه وآله.

«ياعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي».

وأيضاً هناك صلاحيات لفاطمة الزهراء عليها السلام في ظل حكومة النبي صلى الله عليه وآله ولكن بحسب مراتب وطبقات متنزلة بعد حاكمية الرسول صلى الله عليه وآله، وهذه الدولة الإلهية لاتبدل في مراتبها برحيل أحد المعصومين، فمثلاً في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام الحاكم الأول هو الله تعالى وليس أمير المؤمنين عليه السلام والحاكم الثاني هو رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في البرزخ،

ولكن تنزل برامج معينة تملى على أمير المؤمنين عليه السلام بما رزقه الله من قوة مصطفاة وعلم لدني.

فالحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ والحاكم الثاني هو الرسول صلى الله عليه وآله ولانقول أن مقامه وصلاحياته بعد رحيله صلى الله عليه وآله أذيب أو أنحل ـ والعياذ بالله ـ بل هو صلى الله عليه وآله حي يرزق عند ربه لأنه سيد الرسل وسيد الملائكة ولايزال هو سيد الخلائق ومقامه مفعل وحيوي ونشط إلى يوم القيامة.

زيارة أمين الله

ولذلك نلاحظ في عدة من الزيارات لأمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام هذه الفقرة في البداية كزيارة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**السلام على أمين الله على وحيه وعزام أمره**» وهذا خاص لرسول الله صلى الله عليه وآله وعزائم الأمور يعني أن الأمور العصيبة والمهمة والخطيرة في الكون فضلاً عن إدارة الأرض هي لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد الله عَزَّ وَجَلَّ الذي هو الحاكم الأول.

وهذه الفقرة ليست واردة في زيارة أمين الله فحسب بل في كل زيارات الأمير عليه السلام هناك عدة فقرات في ابتدائها زيارة لرسول الله صلى الله عليه وآله، تبين فيها مقام النبي صلى الله عليه وآله، وهذا الأمر يبين لنا أهمية الإتحاد بين نفس النبي صلى الله عليه وآله ونفس أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾[1].

هذا بالنسبة إلى زيارات أمير المؤمنين عليه السلام وكذا لاحظنا نفس زيارات النبي صلى الله عليه وآله لوجدناها زيارات بليغه وفيها بيانات مقامات للنبي صلى الله عليه وآله لا نجدها في مكان أخر.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١ .

التركيز على معاني متون الزيارات

إن الزيارات الواردة للنبي صلى الله عليه وآله أو للأئمة المعصومين عليهم السلام هي من ألفاظ المعصومين عليهم السلام وقد أمرنا بالمواظبة على قرائتها والتدبر في معانيها لنركز على المعارف في هذه الزيارات لأنها عبارة عن دورة عقائدية مركزة يعلمها أهل البيت عليهم السلام للمؤمنين كي يكونوا على علم ووعي علمي من هذه الدروس فهي نور وهداية ورشاد وليست مجرد كلمات تقرأها أمام قبر المعصوم عليه السلام.

فأن العملة الصعبة في الآخرة هي المعرفة كما في الحديث النبوي المعرفة بذر المشاهدة، ولابد أن يكون لدينا رصيد مخزون في القبر وفي البرزخ وفي الآخرة، والمخزون هو عبارة عن هذه المعرفة الحقة ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1].

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

معرفة الأئمة مرتبط بمعرفة النبي صلى الله عليه وآله

ومن أعظم الهدايا المهداة من الأئمة عليهم السلام إلى المؤمنين هي مضمون هذه الزيارات فإنها جوهرة وذخيرة أدبية معرفية باقية، ولكن بمعرفة معانيها بشرط من زاره عارفاً بحقه ـ كما في أكثر الروايات ـ، وليس جاهلاً أو لاهياً أو غافلاً.

إذن يجب علينا أن نحتفي بهذه الزيارات، ومن ضمن تلك الزيارات التي يحتفي بها هي زيارة النبي صلى الله عليه وآله التي تعرفنا بأعظم مخلوق وهو رسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في الدعاء عن المعصوم «**اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك**»[1].

وهذا يعني أن أي خلل في معرفة النبي صلى الله عليه وآله سوف يؤدي إلى الخلل في معرفة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وفي معرفة الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وبقية الأئمة الأطهار عليهم السلام، وكلما ازدادت معرفتنا بالنبي صلى الله عليه وآله إزدادت معرفتنا بالأئمة الأطهار عليهم السلام، وإن كان هناك خلل في معرفة النبي صلى الله عليه وآله، فهو يرجع إلى خلل في معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) مصباح المتهجد للطوس : ٤١٣ ؛ الكافي للكليني ج : ٣٣٧ .

النبي أمين على رسل الله

هناك جملة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام مصدرة بزيارات النبي صلى الله عليه وآله وتبين مقامات النبي صلى الله عليه وآله، وورد تعبير في أحداها عن الإمام الصادق: **السلام على رسول الله السلام على أمين الله على رسله وعزائم أمره الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله....**[1].

وفي هذه الزيارة ليس التعبير والوصف للنبي صلى الله عليه وآله أمين الله على وحيه بل أمين الله على الرسل، كأن المعنى أن هناك نقابة للانبياء والمرسلين أو منتدى للوحي - مثلاً - عميد هذه النقابة هو سيد الرسل صلى الله عليه وآله، وهذه النقابة ليست نقابة صورية بل هي أعمدة من نور، بمعنى أن كل وحي أوحي إلى الأنبياء يمر هذا الوحي عن طريق رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد أشار جملة من المحققين إلى هذا الأمر وهو أن الأنبياء ينبئون عن سيد الأنبياء أي أنهم أنبياء لخاتم النبيين وسيد الأنبياء هو نبي

---

(١) الوافي للكاشاني ج ١٤ : ١٤٩ ؛ الكافي الكليني ج ٤: ٥٧٢ ؛ كامل الزيارات لأبن قولويه : ٣٦٨.

لله تعالى هذا المعنى اقتبسوه من مدرسة أهل البيت عليهم السلام نظير الحديث النبوي «**كنت نبيا وآدم بين الماء والطين**».

ونظير مافي قوله تعالى في آل عمران ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾، وهو أن الأنبياء من النبي آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام هم أنبياء الله ولكن ليس أنبياء الله مباشرين بل أنبياء سيد الأنبياء عن الله عَزَّ وَجَلَّ فإن الرسالة والرسول تعني مأمورية ومهمة خطيرة، ومن الواضح أن عدد الأنبياء (١٢٤) الف بعضهم فقط كان مرسلاً وكانت لديه رسالة معينة وليس كلهم، ولذلك نقرأ في زيارة الرسول: «**اشهد أنك قد بلغت رسالات ربك**»[١]. كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾[٢].

فالنبي صلى الله عليه وآله لم يرسل برسالة واحدة بل برسالات عديدة، نعم النبي صلى الله عليه وآله ولد قبل عام الفيل فلم يكن موجوداً في زمان النبي إبراهيم عليه السلام أو موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام فمن أين كان رسول في زمانهم؟!.

---

(١) مصباح المتهجد للطوسي: ٧٠٩؛ الكافي للكليني ج ٤: ٥٥٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

نعم هو رسول ولكن ليس ببدنه الشريف بل بنوره وروحه الطاهرة فإن شخصية الرسولﷺ وكذلك الرسل ليست هي مبنى وجودي ذات طبقة واحدة بل ذو طبقات، ففي الحديث «**خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام...**»[١].

فالبدن في رحم الأم شيء والروح شيء أخر كما يقول أمير المؤمنين: وليكن من أبناء الآخرة فمنها قدم وإليها ينقلب[٢].

الفرق بين البدن والروح:

وعندما نقول أن النبيﷺ وسيط فليس ببدنه الشريف بل بنوره المقدس، ولهذا يصف الباري تعالى طبقة من وجود النبيﷺ أنه هو ذلك النور، كقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٣].

ومن جانب آخرقوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾[٤].

---

(١) بحار الانوار ج٥٧:٣٥٧ ؛ كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ : ١٦٣ ؛ تفسير الرازي ج٧٤:٢٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ للواسطي : ٣٥٩.

(٣) سورة القصص: الآية ٤٤.

وهناك موارد عديدة خاطب القرآن الكريم فيها النبي ﷺ بـ(ماكنت).

فهل هذا الخطاب كان للبدن أم للروح ؟!.

مع أن هناك موارد أخرى في القرآن الكريم يخاطب النبي ﷺ بالشاهد: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1].

فكيف يكون ﷺ شاهداً على كل هذه الأمم من آدم إلى يومنا وهولم يعش مع تلك الأمم السابقة بجسده؟! فلا بد أن يكون مهيمناً بنوره المقدس ﷺ. فهل يمكن للشهيد أن يشهد من دون أن يكون له حضور علمي في ساحة الحدث وليس المدار على الحضور الجسدي الجسمي إذ قد يحضر شخص بجسده ولايحصل له علم للغفلة، بل لابدَّ أن يكون علمه حاضر ولكن ليس ببدنه بل بنوره ﷺ.

وهذا مايشير إليه حديث يقول: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين[2].

فالعقل حضوره يغاير حضور البدن، فإن حالات البدن غير حالات العقل، فالعقل لا يجوع ولا يخاف بل البدن، والعقل لا يمكن الوصول إليه حتى بالسلاح النووي، فهل يستطع السلاح النووي أن

---

(١) سورة النساء: الآية ٤١.

(٢) روضة المتقين للمجلسي ج ١ : ٣١٠ ؛ فتاوى السبكي ج١ : ٣٨ ؛ المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢: ٦٠٩.

يبيد العقل كلا، بل اكثر ما يستطيعه أن يفجر البدن والمخ الذي هو آلة العقل لانفس ذات العقل. إذن العقل موجود في مقام صدق عند مليك مقتدر، لأن عالم العقل عالم أخر غير العوالم الأخرى.

وإذا أردنا أن نتعرف ونفهم سيد الأنبياء ﷺ أو سيد الأوصياء عليهم السلام أو بقية الأئمة عليهم السلام فمن الخطأ أن نركز على أبدانهم فقط، وإن كانت أبدانهم عظيمة وشريفة ومطهرة وطاهرة ولكن أرواحهم لها شؤون أخرى أعظم وأخطر.

البطاقة الشخصية لسيد الأنبياء ﷺ:

ولو نلاحظ القرآن الكريم كيف يصف لنا البطاقة الشخصية لسيد الأنبياء ﷺ، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1]. والوحي المستمر يعني علم الله الأزلي، فإنه لم يصفه تعالى بأنه نفس أو جسم أو روح بل فوق كل هذا يوحى إليه ﷺ، ولذلك وصفه الباري تعالى في موضع آخر بأن تمام درجات النبي ﷺ كتلة وحيانية ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

فإن الضمير (هو) يعود إلى النبي ﷺ، وهذا يعني أن النبي ﷺ

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٢) سورة النجم: الآية ١ ـ ٣.

كتلة وحيانية قيامه، قعوده، حله، ترحاله، سيرته، جلسته، كلها وحي، والوحي لم ولا ولن ينقطع عنه أبداً بلْ وحي مستمر لأنه وحي يوحى. وهذا أعظم وصف لحقيقة ذات النبي ﷺ.

فهرس الموضوعات